النظرية النسوية وإشكالية المصطلح

د.عصام واصل
(اليمن)

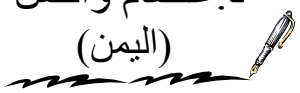

توطئة:

يجمع الكثير من الباحثين بأن البدايات الأولى للحركة النسوية قد ظهرت في القرن التاسع عشر، وتحديدا عند بدء وعي المرأة بذاتها وعيا خلاقا، ومحاولة إزاحة الظلم الذي يقع عليها، والمصادرات الموجهة نحوها، في زمن بدأت فيه الأصوات تنادي بالمساواة، والحرية، وإلغاء صور التمييز بشتى أنماطه، إلا أن التغيير الحقيقي لهذه الحركة لم يبدأ إلا في الثلث الأخير من القرن العشرين تحديدا، عندما بدأت الحركات النسوية بالتكتل، والتشكل المنهج، الذي يسير وفق جملة من الأفكار الواضحة، والرؤى المؤطرة، والمحددة في سياقات غير مضطربة أو غائمة، «ثم أطلق عليها (النسوية) (Feminism) وبدت بوصفها (أسلوبا في الحياة الاجتماعية والفلسفية

والأخلاقيات، يعمل على تصحيح وضع النساء المتدني الذي يحط من شأن المرأة ويحقِّرها (...)، (وفي مواجهة السيطرة الذكورية أو التحيز الجنوسي Gender bias الذي أثر في البنية الثقافية بشكل عام)»[1].

وجاء ظهورها نتيجة حتمية لجملة من المصادرات والممارسات والتراكمات الإيديولوجية، التي ساهمت فيها ورسختها قوى وأطراف دينية وسياسية وفكرية شتى، على صعيد الفكر، والمواطنة، والكتابة، والإبداع... إلخ، إذْ واجهت المرأة جملة من المصادرات التي غيبتها ردحا من الزمن، وظلت تتلقاها دون أدنى رد مباشر حتى زمن قريب[*]، وبذلك كان هم هذه الحركة الأساسي يتمثل في تفكيك النظام البطريركي (الأبوي) Neopatriarchy؛ الذي أسس لفكرة الذات والآخر بأنماطها المتعددة، وكرس نظام الهيمنة الذاتية، وتحييد الآخر، ونشأ عنه نظام تواصلي قائم على سلم هرمي من الأعلى إلى الأدنى والعكس، يقوم المحور التواصلي من الأعلى إلى الأدنى على توجيه الأوامر والنواهي

والتسلط، ويقوم المحور المعاكس (الأدنى) على التلقي القائم على التنفيذ والتسليم دون نقاش[2]، وقد مثل الرجل دور المرسل من أعلى ومثلت المرأة المستقبِل من أدنى، ونشأ عن ذلك فكر التمييز (الجنوسي)، القائم على التمييز الاجتماعي والثقافي والتاريخي[3] بين الجنس البشري (مذكر ومؤنث)، فنتج عنه ثورة الفكر النسوي، والدعوات المتكررة لتحرير المرأة، ومساواتها بالرجل، إلا أن هذه الثورة في شق منها بدت وكأنها تريد خلق نظام موازٍ للنظام الأبوي، مماثل له في السلطة، يسير معه جنبا إلى جنب، ولا يخترقه، ولا يعمل على تفكيكه وتقويضه من الداخل، ولا يسعى إلى تعديله، وتكييفه؛ حتى يتواءم مع متطلبات الواقع المنطقي، بشكل تعاد فيه الحقوق للنساء، وتسود روح المساواة بين القطبين، وخلق التوازن بين القوى، وإنما يقوم بعملية الحلول محله، كنظام مهيمن بديل، يسعى إلى خلق نزعة صراع محتدم بين قطبي الجنس البشري (الرجل/المرأة)، وتحويل القضية من مصادرة للمؤنث إلى مصادرة للمذكر،

فتغدو مقولة المرأة هي الأصل مقابل مقولة الرجل هو الأصل، وهي بذلك قد استطاعت الكشف عن مكامن الخلل، لكنها لم تستطع تصحيحها ما لم ترتكب نفس آلية القمع التي جاءت لتناهضها؛ وبهذا فهي تكرر مسار الطرح التقليدي ولا تقوضه، وتقع في شرك الهرمية الفكرية التي جاءت أصلا لمحاربتها[4]؛ لأنها تقوم على فكرة الإلغاء، والطمس تماما مثل الأولى، فهي تطمس وجود الرجل، في حين كانت الأبوية تطمس وجود المرأة، وتعمل على إلغائها تماما، أو تحويلها إلى مجرد كائن مادي تابع، «و هذه المسألة مرتبطة بطبيعة الحال بأهداف الحركة النسوية الرامية لخلخلة المفاهيم الاجتماعية التقليدية القائمة على التمييز الوظيفي، بين الرجل والمرأة، على أساس بيولوجي... مما يهدد بالعودة إلى الدوران في الحلقة المفرغة ذاتها، فالادعاء بأن الأنثى هي الأصل لا يختلف تماما عن الادعاء بأن الرجل هو الأصل»[5].

وقد دعا ذلك الطرح "شيرين أبو النجا" إلى أن تتهم الدعوات التي تقوم

بتمكين المرأة على حساب الرجل بالسذاجة، والبدائية؛ لأن هذه الحركة - من وجهة نظرها- تسعى إلى إعادة صياغةٍ للذات وعلاقتها بالآخر، «وهي إعادة تستلزم تغيير علاقات القوى، والمقصود ليس محاولة تمكين النساء على حساب الرجل، فهذا طرح ساذج بدائي لا يغير من الأمر شيئا. المقصود هو إعادة التوازن لهذه العلاقات»[6] التي ظلت - من وجهة نظرنا- قائمة على جدلية المركز والهامش لفترة طويلة، وهو ما جعل تيار النقد الفرنسي الذي انبثق عن مظاهرات 1968م يهدف إلى تفكيكها «وهو تيار يضع نصب عينيه كسر منظومة الثنائية التي تحدد معالم الايجابية بالسلبية، وكسر الانفصال بين الذات والآخر، بحيث لا يكون هناك آخر، بل ذوات مختلفة، متفاعلة، مولدة بذلك معاني جديدة»[7].

وقد أثار مصطلح النسوية "Feminism" منذ ظهوره لأول مرة على يد الفرنسية " هوبرتين أوكلير" في العام 1882م[8]، الكثير من الإشكالات، والجدل، وزوايا النظر، في شتى الأنواع الفكرية، وكذلك

على صعيد الإبداع والكتابة الأدبيين، إذْ ظهر هناك ما يسمى بالأدب النسوي، والشعر النسوي، والسرد النسوي، ولم يستقر المصطلح على هيئة واحدة، بل تعددت هيئاته ودلالاتها، فظهرت كثير من الاشتقاقات من مثل: النسوي، والنسائي، والأنثوي(**)، ولكل من هذه الاشتقاقات مناصروه، أو مناهضوه، كما له دلالاته المختلفة، ومن هنا نتج الارتباك والخلط بين هذه المصطلحات دون تفريق أو انتباه لأبعادها الفكرية، والبيولوجية، والإيديولوجية، فهي كلها مصطلحات تحمل بشكل مباشر و/أو غير مباشر خصائص بيولوجية، وجنوسية، وثقافية، تثير الخصيصة الأولى حساسية المرأة، وتستفزها بالدونية، والاختلاف الجنسي، وتثير في الثانية حساسية التمييز، والتفريق وخلق الصراع، وتثير في الثالثة حساسية التأسيس للحرية، والإبداع المغاير.

لذا نجد تعدد وجهات نظر الباحثين في هذه المصطلحات، ومن هنا لابد للباحث من إعادة النظر عند طرحها، وغربلتها، وتبيان مواقف المبدعات والمبدعين منها،

والفروق فيما بينها على صعيد الممارسة، وكذا التعريج على بعض خصائص ومزايا الكتابة النسوية بشكل عام، ومن ثم الخروج بحوصلة تحاول أن تفرق بين المصطلحات ومفاهيمها ودلالاتها كي تستقر الدراسة وتنطلق من أساس واضح غير مرتبك.

في إشكالية المصطلح:

1- النسوية:

يبدو مصطلح "نسوية" مصطلحا إشكاليا لا لأنه كذلك في ذاته، أو في بنيته ودلالتها المجردة فقط، بل يبدو كذلك نتيجة لارتباك رؤى المشتغلين عليه، وتشتت أفكارهم وعدم تحديدهم لزاوية نظر محددة ينطلقون منها، تؤطر المصطلح وماهيته من جهة، وأهدافه، وغاياته، وحدود اشتغالاته من جهة أخرى، لذا نجد أحد الباحثين[9] في النقد النسوي يصفه بالغموض، وعدم التحديد، ويتساءل عن النقد النسوي ماذا يعني؟ هل يعنى به النقد الأدبي الذي تكتبه النساء؟ أم النقد الأدبي الذي يكتب عنهن؟ أم نقد

الأدب من وجهة نظر المذهب الذي يدعو إلى تحرير المرأة؟، وهو بتساؤلاته تلك يضع أمام القارئ خيوطا تحتم عليه تسمية الأشياء بمسمياتها، ووضع إطار منهجي محدد للمصطلح، وآلياته.

وإذا كانت التساؤلات هذه متعلقة بالنقد النسوي، فإن هناك تساؤلا جوهريا متعلقا بالأدب النسوي لا النقد، ومفاده: ماذا نعني بالأدب النسوي؟، ويرى واضعه[10] كإجابة عنه بأن ثمة ثلاثة آراء سياسية حول هذا المصطلح، وهي:

1- تعريف الأدب النسوي بأنه "يتضمن تلك الأعمال التي تكتب من قبل مؤلفات".
2- يعني الأدب النسوي "جميع الأعمال الادبية التي تكتبها النساء سواء أكانت مواضيعها عن المرأة أم لا.؟".
3- الأدب النسوي هو "الأدب لذي يكتب عن المرأة سواء أكان المؤلف رجلا أو امرأة".

ويضيف بأن الرأي الأول هو الشائع منذ الثمانينات، وأنه يجمع بين المؤلفة والموضوع المعبر عنه من زاوية نظرها، بينما ينفرد الثاني بالمؤلفة أيا كان موضوع عملها الأدبي، في حين يركز الثالث

على الموضوع ويهمل المؤلفة بحيث يدخل في ذلك الرجل والمرأة معا، وهو إذْ يسرد هذه التعريفات للمصطلح وتعليقاته عليها لا يناقشها أو يحدد خياره المصطلحي، وكأنه يعتمد عليها جميعا، وهو بذلك يجعل الأمر مفتوحا على آفاقه القلقة، ويظل سؤاله مفتوحا على أسئلة شتى، بدون إجابة محددة.

ومع أن القلق والاضطراب بادٍ لدى هذين الباحثين وغيرهما، نجد في طرح البريطانية "توريل موي"[11] التي سبقتهما بطرحها بزمن كبير[***] إجابات منهجية دقيقة عن التساؤلات الإشكالية المطروحة، فهي تؤكد بأن النسوية عبارة عن نعت سياسي يدعم أهداف حركة المرأة الجديدة، ومن ثم تحدد النقد النسوي بأنه عبارة عن نوع خاص من الخطاب السياسي، وأنه تطبيق نقدي ونظري يلتزم بالصراع ضد الأبوة (patriarchy)، وضد التمييز الجنسي وليس مجرد اهتمام بالجنس (Gender) في الأدب، خاصة إذا لم يكن عرض التمييز الجنسي إلا مجرد طريقة نقدية أخرى تثار بطريقة تساوي الطريقة التي

يثار فيها موضوع الاهتمام بصور البحر أو استعارات الحرب في الشعر القروسطي، لذا «يمكن لمصطلح النسوية feminism أن يوصف كل الأفكار والحركات التي تتخذ من تحرير المرأة، أو تحسين أوضاعها بعمق هدفها الأصلي»[12].

وترى كيت ميديت بأن مهمة الناقدات النسويات وواضعات النظرية النسوية «هي أن يكشفن عن الآلية التي تتم بها هيمنة الرجال على النساء، والتي ترجعها في تعريفها البسيط والمتعدد الجوانب إلى النظام الأبوي، وأن يكشفن أيضا الآلية التي تتشكل بها الإيديولوجية التي يمكن أن تكون أكثر الأيديولوجيات تغلغلا في حضارتنا التي يعود مفهومها الأساسي للقوة»[13].

فالنسوية -إذن- تيار سياسي، ثوري، فكري، إيديولوجي، يهدف إلى إعادة الحرية للمرأة، وتوازن القوى، ويكشف عن تيماتها، وخصائصها، في الخطاب الإنساني عامة، وكتابة المرأة التي تشتغل على هذه التيمات خاصة، وهو بذلك نشاط إنساني يمارسه الرجل والمرأة للذين

يدافعان عن المرأة، وهو ما تؤكده بام موريس التي تعتبر «النسوية مفهوما سياسيا مبنيا على مقدمتين منطقيتين أساسيتين: (1) إن بين النوعين مؤسسة تقوم على عدم المساواة بين النساء والرجال، وتعاني النساء بسببها من انعدام العدالة في النظام الاجتماعي، و(2) إن انعدام العدالة في النظام بين الجنسين ليس نتيجة لضرورة بيولوجية، لكنه ناتج عن الفروق التي تنشئها الثقافة بين الجنسين. يقدم هذا المفهوم للنسوية جدول أعمالها الذي يحتوي على مهمتين: فهم الآليات الاجتماعية والنفسية التي تنشئ وتؤيد انعدام المساواة بين النوعين، ثم تغيير هذه الآليات»[14]، وكما ترى يمنى طريف الخولي فإن «النسوية في أصولها حركة سياسية، تهدف إلى غايات اجتماعية، تتمثل في حقوق المرأة، واثباتات ذاتها ودورها، والفكر النسوي بشكل عام أنساق نظرية من المفاهيم، والقضايا، والتحليلات، تصف وتفسر أوضاع النساء وخبراتهن، وسبل تحسينها، وتفعيلها، وكيفية الاستفادة المثلى منها»[15].

وتسعى هذه الحركة في عمومها إلى خلخلة الأنساق الاجتماعية القارة، وتفكيك الهيمنة الذكورية، وخلق واقع مغاير، يتساوى فيه الطرفان، وتلغى فيه نظرية الذات والآخر التي تسعى إلى تهميش المرأة بشكل يؤدي إلى خلل في الموازين، من وجهة نظر هذه الحركة، وتحاول خلق هوية متفردة، لها مزاياها، وخصائصها الفكرية، و«تهدف إلى إنهاء الاضطهاد الجنسي، والعرقي، والديني، والطبقي، واثبات أهلية المرأة، وأهمية دورها في المجتمع الإنساني»[16]، ويتميز النقد النسوي «بالتزامه سياسة تحارب كل أشكال السلطة الأبوية والتمييز الجنسي»[17]، وكذا يميل إلى التركيز على عالم المرأة الداخلي، والاهتمام بتاريخها، والتركيز على الأعمال التي تحتوي على قضاياها، بغض النظر عن جنس كاتبها ذكرا كان أم أنثى.

2- تداخل مصطلح النسوية مع مصطلحات مجاورة:

ومع دقة هذا المصطلح، ووضوح أبعاده، إلا أنه يتداخل مع مصطلحات أخرى، ومن أبرزها (نسائية وأنثوية)، بالرغم من وجود فروق كبيرة بين كل منها دلاليا

وإيديولوجيا وبيولوجيا، غير أن هذه الفروق كثيراً ما تُطْمَسُ، سواء على صعيد التنظير أم التطبيق، إذْ يستخدم كل منها بديلا عن الآخر أو كأنه رديف له، ولمعرفة الفروق فيما بينها لابد أولا من تفكيكها، وفض الاشتباك الحاصل فيما بينها، بغية الوصول إلى قاعدة مصطلحية منهجية تحدد ماهية كل منها، ووظيفته، وأهدافه.

إذا كان مصطلح "نسوي" دالا على حركة سياسية إيديولوجية فكرية.. إلخ، تنزع إلى «إعادة التوازن الفكري والعقلي لعلاقات القوى»[18] -كما رأينا-، فإنه يمتاز بذلك عن غيره من المصطلحات، وأولها مصطلح "نسائي"، الدال على قضايا بيولوجية بحتة؛ لأنه «ليس مصطلحا فنيا، ولا يدل على اتجاه، أو على مدرسة، أو إيديولوجية ما»[19]، وإنما يدل على تصنيف بيولوجي، (جسدي/جسماني)، يحيل إلى المرأة، فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، ومعنى ذلك أن مصطلح "نسوية" مصطلح فني، يدل على اتجاه وعلى مدرسة، وإيديولوجية ما، وهو بذلك على عكس مصطلح نسائي تماما، بوصفه اسم جمع للمرأة فقط، في ذاتها ولذاتها، لا في

نشاطها وفكرها المناهضين للنشاط والفكر المضادين، ولذلك فرقت الباحثة "توريل موي" بين ثلاثة مصطلحات هي النسوية والأنثى/النسائية(****) والأنوثة -كما رأينا-، وتؤكد بأن النسوية قضية سياسية وأن الأنثى مسألة بيولوجية، وأن الأنوثة مجموعة خواص محددة ثقافيا[20].

ويحيل مصطلح (أنثوي وأنوثة) إلى ميزة نسائية روحية، لصيقة بالمرأة (من الداخل) دون غيرها، وتعرف سارة جامبل الأنوثة بأنها «مجموعة من القواعد التي تحكم سلوك المرأة ومظهرها، وغاية القصد منها جعل المرأة تمتثل لتصورات الرجل، عن الجاذبية الجنسية المثالية»[21]، ومعنى هذا أن مصطلح أنوثة صفة لخصيصة من خصائص المرأة الاجتماعية الناتجة عن التنشئة ويحددها البعض بسلسلة من الصفات، منها: الحياء، والخجل، والدلال، والنعومة.. إلخ، وهي صفات لا يمكن أن نجدها في الرجل السوي، ولا يمكن له أن يكتب -مهما يكن- كتابة أنثوية إن سلمنا بوجود كتابة أنثوية- وإنما قد يكتب كتابة نسوية، وكما يرى محمد طرشونة بأن هناك "حساسية أنثوية"، وليست "رواية

أنثوية"؛ «لأنه يصعب تمييز اتجاه يتصف بالأنوثة، وهي ليست نظرة أو موقفا، وإنما هي نكهة خاصة نجدها في روايات جميع النساء تقريبا، نحس فيها أن ما نقرؤه صادر عن معاناة امرأة عاشت حالة ما، وعبرت عنها بطريقة فنية، مثل عاطفة الأمومة أو العشق أو الخوف، وكلها غير خاصة بالمرأة -بما في ذلك الأمومة!- ولكن التعبير عنها نحس فيه ببعد خاص قد لا يتوفر إلا في كتابات الأنثى»[22]. ومن وجهة نظرنا ليست كلها خاصة بالمرأة - كما يرى طرشونة- بل بعضها خاصة بها دون غيرها، ومن ثم فإن ما نجده في النص يشي بأنثوية فإنه من قبيل النسوية وليس - كما يتوهم طرشونة- من قبيل الأنثوية.

وإذا كنا فيما سبق قد وجدنا الخلط بين المصطلحات بعضها بعض فإن ثمة من يخلط بين هذه المصطلحات وبين الذوات المنتجة للخطابات أيضا، كما هو الحال عند زهرة الجلاصي[23]، التي تضع بعضا من التساؤلات تنصب في هذا السياق، بغية مساءلة حقول السرديات، ونظرياتها، للظفر بفرادة النص، وديناميكيته، وتتساءل كيف سكن المبدع شكله؟ كيف

تفاعل مع سرده؟ ما هي خصوصيات بصمته الذاتية في توظيف فضاءاته النصية؟ ما هي درجات طموحاته المشروعة كذات تنشد التمايز، والاختلاف والتجديد؟ وبمعنى أن يعترف التحليل عند الاقتضاء بأنسنة النص، وهي ترى بذلك أن النص يكتسب صفات وخصوصيات من الكاتبات، وتدمج بين الذوات وخصائصها الخارج نصية/البيولوجية وبين بنى النص المنجز وجعل الخصائص البيولوجية الخارجية للكاتبات هي مزايا للنصوص و هذا الأمر جعل الكثير من المتلقين يقعون في اللبس ويخلطون بين مصطلحات النظرية، ولذا فإن اقتراح الجلاصي يعد مجازفة بالرغم من جديته التجريبية، ومحاولته الجادة.

ومهما يكن فإن هذه المصطلحات جميعها أسماء لمسميات، فالنسوية - باختصار- اسم للحركة التي تسعى إلى تقويض النظرية البطريركية، والنسائية اسم مميز لجنس المرأة عن الرجل بيولوجيا، والأنثوية أسم لمجموعة من الخصائص والصفات الاجتماعية والفسيولوجية التي توجد في المرأة

وتميزها عن خصائص الذكورة، «لذا تلزم التفرقة دائما بين نسوي (أي وعي فكري ومعرفي)، ونسائي (أي جنس بيولوجي)»[24]، وبين الأنوثة أيضا (أي صفات اجتماعية).

وقد أرجع مفيد نجم هذا التعدد والتشتت والارتباك في المصطلح ومتعلقاته إلى عدم وجود «وعي نظري ومنهجي واضح ومتبلور»[25]؛ لأن الكثير ممن تطرقوا إلى ظاهرة الخطاب النسوي لم يعنوا كثيرا بدراسة المصطلحات ووضع قاعدة نظرية لهذه الحركة في الوطن العربي، ومنهجتها، والخروج بحوصلة تبين ماهياتها، وكيفياتها، وآلياتها، وجمالياتها. ومن وجهة نظر الباحث- فإن هذا التعدد يمثل ظاهرة صحية لكونه يخلق وجهات نظر متعددة وزوايا متباينة تشكل كما متراكما من الأفكار التي يمكن للقارئ الحصيف أن يحفر فيها، ومن ثم يخرج منها بزاوية نظر معرفية مستقرة ولو نسبيا.

ونستخلص مما سبق:

- أن النسوية قضية سياسية.
- أن النسائية قضية بيولوجية.

- أن الأنوثة/الأنثوية مجموعة خصائص محددة اجتماعيا وثقافيا توجد في المرأة.
- أن الكتابة النسوية تلتزم خطا محددا وهو معالجة قضايا المرأة، ومناهضة النظام الأبوي.
- إن التعدد والتداخل بين المصطلحات ناتج عن عدم وجود نظرية ولا تحديد منهجي متعلق بالنسوية وإشكالياتها في الفكر العربي.

3- الفروق بين المصطلحات على صعيد الكتابة:

إن تحديد الجهاز المصطلحي؛ وتحديد أبعاده المفاهيمية؛ وكذا الفروق، ونقاط التماس، بين المصطلحات؛ يطرح علينا سؤالا إشكاليا وجوهريا ملحا، مفاده: هل كل ما تكتبه المرأة نسويا؟ وكإجابة عنه، ينبغي -أولا- تحديد ماهية الكتابة النسوية، والفرق بينها وبين الكتابة النسائية؛ بغية الوصول إلى إجابة منطقية تحدد الكتابة النسوية من النسائية.

ظهرت في الآونة الأخيرة كتابة جريئة أثارت هذه الإشكالية بشدة، ووضعتها على

المحك، وهي التي تكتبها المرأة، وهذا النوع من الكتابة دفع معه الكثير من الباحثين إلى الخلط بين المفاهيم والمصطلحات، وكإعادة نظر لذلك الخلط، وإعادة فرز لخطوطه المتداخلة، يمكن مفصلة هذه الكتابة مبدئيا إلى مفصلين اثنين ينتمي أحدهما إلى النسوية والآخر إلى النسائية، فالكتابة التي تكتبها المرأة عموما تنتمي إلى النسائية من باب أن كاتبتها امرأة فقط لا لأن خصائصها الكامنة فيها تجسد مواضيع المرأة وقضاياها، وبذلك فإن النسائية أعم من النسوية؛ فكل ما تكتبه المرأة نسائي، وليس كل ما تكتبه نسوي بالضرورة، وهذا يضع تحديدا منهجيا صارما يجعل الكتابة التي تكتبها المرأة وتعالج فيها قضايا تحتفي بقضايا المرأة، وفكرة التغلب على الأبوية، والتسلط الذكوري، وخلق نظرة خاصة للعالم من منظور نسوي، هي الكتابة التي تنتمي إلى النسوية، أما التي تعالج قضايا عامة يتناولها الرجل والمرأة معا بشكل متشابه ومعبر عن العالم والقضايا الإنسانية التي يعبر عنها الجميع فهي كتابة نسائية إن

كتبتها امرأة، وذكورية إن كتبها رجل، وبمعنى آخر فإنها كتابة عامة، وليست نسوية؛ لأنها لا تعبر «عن تمرد المرأة على الواقع الاجتماعي والثقافي القائم، وعلى سلطة المجتمع الأبوي وتقاليده المختلفة، التي تحول دون تحرر المرأة وانطلاقها، وتعبيرها عن ذاتها ووجودها، ومشاعرها»[26]، فالكتابة النسوية -إذن- هي «التي تتخذ موقفا واضحا ضد الأبوية وضد التمييز الجنسي»[27]، وهي التي تأخذ المرأة كفاعل في اعتبارها، وهي القادرة على تحويل الرؤية المعرفية والأنطولوجية للمرأة إلى علاقات نصية، وهي الكتابة المهمومة بالنسوي المسكوت عنه، النسوي الذي يشكل وجوده خلخلة للثقافة المهيمنة، وهي النسوية الكامنة في فجوات هذه الثقافة، وأخيرا هي النسوية التي تشغل الهامش[28].

وبذلك فإن هذا التصنيف مفيد كثيرا، لأنه يحتم علينا الخروج من اشكالية الصراع بين قطبي الجنس البشري، وقضيتي الذكورة والأنوثة، كما يحتم علينا توحيد الكتابة كونها كتابة تعبر عن هموم إنسانية لها طابع الشمولية أولا وأخيرا،

والانتقال إلى دراسة هذه الكتابات بناء على خصائصها الكامنة ككل متكامل تتمفصل في كتابة الرجال والنساء ووفق مبدأ الهيمنة وتشكل ظاهرة، لها أبعادها، ومميزاتها، وتسميتها بالنسوية فقط؛ لأن النسوية ليست امرأة، وليست نساء، وليس الرجل عكس نسوية، ولا نقيضها، ولا يشكل مصطلحا مضادا لها، كما لا تشكل المرأة طرفا فيها بقدر ما تشكل مادة من أبجدياتها المتعددة، وإنما النسوية مذهب وحركة -كما رأينا- ومنهج رؤية للذات والعالم من وجهة نظر امرأة، لذلك لا نقول كتابة أنثوية لأننا لا ننحصر في خصائص النساء فقط، ولا نقول نسائية لأننا لن نقتصر على معالجة قضايا بيولوجية متعلقة بالمرأة خارجيا فقط، ولا نقول كتابة المرأة ونقصد بها نسوية مع أن هذه الظاهرة تبدو أكثر التصاقا بكتابة المرأة منها بكتابة الرجل، ذلك أن معظم النساء حاليا قد رسمن لكتابتهن خطا دفاعيا واضحا يسرن وفقه، ومع ذلك فإن الخطوط الدفاعية هذه موجودة في معظم كتابات الرجل، فالشاعر اليمني محمد الشرفي -كمثال- قد أوقف كل نتاجاته الأدبية للدفاع عن حقوق المرأة

وحرياتها، ومن هنا فإن نتاجه الأدبي هذا نسوي بامتياز، وكذا بعض قصائد نزار قباني وروايات إحسان عبد القدوس تعالج قضايا المرأة، لذا فالأمر متعلق بنوع من أنواع الكتابة وليس بالكتابة كلها(*****)، أي إن هذه السمات النسوية ليست طاغية على كل كتابات النساء ولا كل كتابات الرجال، فالأمر نسبي متعلق بقضية المرأة، وليس بالمرأة ذاتها، أي إنه يناقش حيثيات قضايا، ويطرح أسئلة، ويثير إشكاليات بعينها دون غيرها، لذلك يسمى بهذه التسمية ويتسم بها، كما أن المرأة فرد والرجل فرد، والنسوية قضية.

ومما سبق ينتج سؤالٌ ملح، وهو هل يمكن دراسة الكتابة النسوية لذاتها، بناء على خصائصها، مجردة من نزعة النفور والتهميش نتيجة إلصاقها بالمرأة فقط؟.

إن الإجابة عن هذا التساؤل المربك فعلا، لا يمكن أن تتم إلا في حالة الاستقرار الكلي على صعيد المفاهيم، والمصطلحات، والآليات، وعدم الخلط بين الذوات الفيزيائية البيولوجية، وبين النظريات، أولا، وبين النظرية النسوية

وبين المرأة، ثانيا، وبين المرأة وبين نتاجها، ثالثا، وبين كتابة المرأة والكتابة النسوية، رابعا؛ كي لا تظل المواقف منها سلبية بشكل كبير.

4- المواقف من المصطلحات:

أثارت هذه المصطلحات النسائية/النسوية/الأنثوية عند ظهورها أول مرة -وما تزال- الكثير من الإشكالات، والمشاحنات، والبغضاء، لدى معظم الكتاب والكاتبات(*)، لأنها فرضت -وما زالت- حكما مسبقا بهامشية كتابة المرأة، مقابل مركزية مفترضة هي مركزية الكتابة الذكورية، الناتجة عن هيمنة الإرث الجنوسي، الذي لا يزال يلقي بظلاله على الفكر، وعلى الذات، ويعمل على تأجيج الانفصام، وتوسيع بؤرة الخلاف بينها وبين الآخر، ففي حين يرجع رفض بعض الكتاب إلى مسألة واحدية الكتابة، بناءً على خصائص إنسانيتها، و/أو خوفاً من امتلاك المرأة لحرية التعبير، ومنافستها لهم على المكانة الإبداعية، فإن بعض الكاتبات قد رفضنها ودعين إلى مواجهتها؛ لأنها تحيل إلى أحد أمرين أولهما التمييز العنصري (الجنوسي) بين المرأة والرجل، والثانية

لأن البعض يقولون بخصوصية ماثلة ومتمفصلة في كتاباتهن، و هذه الخصوصية قد جعلت البعض يحمل نزعة احتقارية، لما تكتب أو المرأة نفسها تشعر بها، نتيجة لـ«ما يتوفر عليه هذا المصطلح من دلالات مشحونة بالمفهوم الحريمي، الذي يحتقر المرأة، ويجعلها دون الرجل، وتابعة له»[29]، لذلك كن «الأكثر رفضا لسياق انضمامهن تحت سقف النسوي، لأسباب عديدة أبرزها: التخوف من التصنيف الدوني»[30].

بالإضافة إلى التخوف من قضية إلصاق التهمة بكتابتهن ومن ثم بهن، لأن المتلقي كان ينطلق من ثقافة تفهم كتابة المرأة على أنها مجرد سيرة ذاتية تسرد فيها الكاتبة ممارساتها متسترة وراء فعل الكتابة، إذْ «جعلت هذه الثقافة كل كتابة تكتبها المرأة تفهم من قبل النقد السائد على أنها سيرة ذاتية تجلب تهما كثيرة بوصفها لا تتلاءم مع الأخلاق والتقاليد العربية والدينية، مما دفع المرأة إلى الشعور بالغبن في كثير من علاقاتها بسبب كونها امرأة، فكيف إذا صنفت على أساس الكتابة النسوية التي تحيلها غالبا إلى التصنيف الأخلاقي

السلبي»[31]، ناهيك عن أن ظاهرة الكتابة والفكر النسويين نتج عنهما ظاهرة الصدام مع الآخر، وهي ظاهرة غير مألوفة، وقد رفضها الآخر/الرجل لأنها أثارت حفيظته بعد أن جعلت منه أداة تشاكسها وتستفزها وتحاول انتزاع الاعتراف بها منه قبل انتزاع الحرية؛ لأن الحرية قد امتلكتها بشكل أو بآخر، وإلا لما استطاعت الكتابة عن هذه المنظومة الفكرية الاجتماعية الأخلاقية، التي يعد الرجل أحد محاورها. لذلك «تتفق أغلب الكاتبات على رفض مفهوم الأنوثة في الكتابة ويتمسكن بالتبرؤ منها، فقد أكدت أكثر من كاتبة وبإصرار شديد... أن لا معنى للفروق الجنسية بين المذكر والمؤنث؛ لأن الذات الكاتبة تمثل الإنسان بقطع النظر عن جنسه، ومن تبريرات هذا الرفض أنهن لا يرغبن في الانضمام إلى المؤنث كمعادل لمجموعة نسائية منغلقة على ذاتها، أو كمنزلة سسيوثقافية هامشية، لذلك تؤكد المرأة الكاتبة على أنها كائن "لا جنسي" أو "محايد"، وعندما يدعوها داعي الكتابة تنسى أنها امرأة»[32]. ومن ثم فإنه لا جدوى -من وجهة

نظر مشتركة بين بعضهن، وبعض الكتاب-، من الفصل فيما بين الكتابات، ولا جدوى من «التمييز بين قلم المرأة وقلم الرجل لتماثلهما في الإنسانية، وفي الأوضاع الاجتماعية التي سادت مجتمعات العصور القديمة، وعانى منها الرجل والمرأة على حد سواء، فهم ينظرون إلى الإنسان من زاوية معاناته الطبقية في ظل الطبقة البرجوازية»[33]، وينظر البعض إلى القضية من منظور نظرية موت المؤلف؛ لأن القارئ إذا اعتمد نظريات النقد المحايثة وتحديدا نظرية النقد البنيوي، ومقولة موت المؤلف بالتحديد، وتعامل مع الكتابة بعيدا عن سلطة التسمية والذوات المنتجة، فإن ذلك سيقوده إلى حقيقة فكرية جوهرية واحدة، تقر بأنه لا فرق بين الكتابات بيولوجيا، فهي نتاج اجتماعي خلقته ظروف إنسانية معاشة واحدة، ولكن الفرق يكمن في خصائص هذه الكتابات، والرؤى التي تشتغل عليها. ويرى آخرون أن هذا التباين والرفض خصوصا يأتيان نتيجة لتكريس الوعي الجمعي للكثير من الأفكار الإيديولوجية؛ لغرض الانتقاص من المرأة، وإزاحتها عن

محيط الاشتغال الإنساني، السياسي، والفكري، والإبداعي، وتحويل كتابتها من المركز إلى الهامش(*******)... إلخ.

ويذهب بوشوشة بن جمعة إلى أن النزوع إلى رفض المصطلح عند النقاد والكاتبات على حد سواء يعود «إلى قصور في تصور النقد العربي، الذي اقتصر في مقاربة هذه الكتابة الظاهرة على الخارج، دون أن يسعى إلى تناولها من الداخل بالبحث عن أنساقها الفكرية والجمالية وما تنطوي عليه من سمات مفيدة تفصح عنها النصوص قبل النفوس، مما يجنب الممارسة النقدية وقوع في أشكال من الإسقاط الخارجي ذات طبيعة إيديولوجية، تنحرف بها المقاربة الموضوعية لهذا النوع من الإبداع»(34).

ومعنى هذا أن ثمة قضية تختلف عن شتى القضايا، كما أشرنا، ويجب أن نفرق بين المرأة وبين النسوية، تفريقا حاسما، فالمرأة كائن فيزيائي، بشري، بيولوجي، والنسوية نظرية فكرية، أيديولوجية، سياسية، وثقافية، تتبنى قضايا المرأة، وتناصرها، ولا تقتصر على جنس بعينه، كما

ينبغي أن نميز بين تاريخ المرأة، و تاريخ الحركة النسوية، فلكل منهما تاريخه، وسماته، فـ«"تاريخ" المرأة كما يدل عليه اسمه، يتعلق بالمرأة، بينما تاريخ "الحركة [النسوية]" يتناول أفكارا ونظريات، وتشمل تلك الحركة وتأخذ معينات وكتابة التاريخ النسوي»[35]، فإذا كان مصطلح "الأدب النسائي" يهدف إلى تصنيف نتاج المرأة الأدبي على أساس بيولوجي، أي من خلال الجنس الذي تنتمي إليه[36]، فأن مصطلح "الأدب النسوي" يهدف إلى تصنيف الأدب من الداخل، بناء على خصائصه هو لا على خصائص كاتبه، أي إن التصنيف الجنسي يصبح خصيصة من خصائص الخطابات الداخلية لا من خصائص كتابها.

وعليه فإن من الأخطاء الشائعة في هذا المجال وينبغي تجاوزها:

- أن يعتبر الباحثون أن الكتابة النسوية هي ما تكتبه المرأة فقط.
- أن يتم الخلط بين المرأة وبين المصطلحات.
- التعصب لكتابة جنس دون غيره، وكذا التعصب لمصطلح دون سواه، قبل قراءة

الأفكار والخطابات الفكرية والإبداعية والإحاطة بمفاهيم كل مصطلح ودلالاته.

- التفريق بين الظواهر والقضايا الفكرية والمصطلحات وفقا لحيثيات بيولوجية خارج نصية.

ومن وجهة نظر الباحث فإنه لن يتم التخلي عن هذه الأخطاء ونظرية الرفض والقبول إلا إذا عكفنا على:

- استخراج الخصائص والمزايا الكامنة في الخطابات، وعدم اللجوء إلى الفصل "الجنوسي" القائم على الكاتب (امرأة/رجل) لا على النص، ولا يعني هذا الاقتصار على قراءة النص، وإغلاقه، دون الاستعانة بخارجه، بما فيه الكاتب إن دعت الضرورة إلى ذلك.
- تذويب القضية "الجنوسية" "البيولوجية"، والمساواة بين الذات والآخر، خارجيا، وإبقائها على مستويات النصوص، والانهماك في تحليلها من داخلها بوصفها تشكل ملامح خطاب فكري وإبداعي ما، أي تحويلها من قضية خارج نصية إلى قضية ورقية/نصية مرتبطة بالكتابة وجمالياتها فقط.

لذا فإنه ينبغي تجاوز هذه النظرة القاصرة على الرفض أو القبول وتجازوها إلى الممارسة، لأن المصطلح أمر حتمي وعلينا قبوله مثله مثل غيره، بعد أن نجرده مما علق به من نزعة قيمية احتقارية وعدائية توجه أصابع الاتهام إلى كتابة المرأة، أو الأدب الذي يحمل نزعة نسوية لصالح مركزية ما يكتبه الرجل، وتحويل ما عداه إلى الهامش.

إذاً فإن مصطلح "نسوي" منطقي، وموضوعي، ومحايد، لا يرمي إلى الفصل العنصري، أو إزاحة خطاب لحساب خطاب آخر أبدا، فهو بذلك يخالف مصطلح نسائي، ومصطلح أنثوي، لأنهما لصيقان بالذوات وخصائصها البيولوجية لا الإبداعية، فما دامت هذه الخصائص والسمات موجودة بشكل فعلي وحتمي في الخطاب فلماذا نجحدها، وإذا سلمنا بها فهل سنجد مصطلحا فنيا أفضل من مصطلح النسوية للتعبير عنها؟!.

ومن خلال ما سبق نجد أنه ما دامت محمولات مصطلح نسوي -كما رأينا- دالة على خصوصية، في خطاب ما، لرجل كان أو لامرأة، فإن من المسلم به -إذن- أن

مناقشة الرجل والمرأة لقضايا نسوية يعد خصوصية في حد ذاته، لأن هذه القضايا كانت من المسكوت عنه، والمقصى، والمغيب رد حا من الزمن، وقد بدأت تطفو على السطح، وتعيد تشكيل العمق..

ومن هنا نرى أن الحل في الخروج من الصراعات بين المصطلحات والفروق فيما بينها يكمن في أن يُؤَسس لنظرية نسوية، وتحدد حيثياتها، ولا تلصق بكتابة المرأة أو نشاطها فقط، بل في كل كتابة أو نشاط يدعو لتحطيم النظرية البطريركية، ومصادرة المرأة، وذلك لن يتم إلا إذا تم الانتقال من النظرة النمطية لهذه القضية التي تفصل بين المرأة والرجل فصلا قائما على الصراع من جهة، وتدمج بين النسوية وحقول أخرى شبيهة من جهة ثانية، وتجعلها خاصة من خصائص المرأة وميزة من مزايا خطابها فقط من جهة ثالثة، وذلك لن يتم إلا إذا انتقلنا بالسؤال من صورته البسيطة: هل لكتابة المرأة خصوصية؟ وهي صيغة تحمل نزعة أحادية وتشتمل على دلالة صدامية، واحتقارية، إلى السؤال بصيغته المركبة: هل للكتابة

النسوية خصوصية؟ وهي الصيغة التي تركز على الكتابة أولا؟؛ لأن ثمة بونا شاسعا بين صيغة السؤالين ودلالاتهما، التي تتحول من الانهماك في الإشكاليات البيولوجية، والنزعة الخارج نصية، إلى الاشتغال على الكتابة وآلياتها من داخلها في السؤال الثاني، لأن الفرق كبير بين دال "المرأة" ودال "النسوية"، تماما كالفرق بين خطاب المرأة والخطاب النسوي، وهذا الفرق كان يمحى نتيجة لخلط الكتاب والمفكرين بين المرأة وبين القضية النسوية من جهة، وبين المرأة وكتابتها من جهة أخرى.

وعليه فإن قضية الخصوصية في الكتابة النسوية لا تعني بالضرورة التميز القائم على إقصاء الكتابة التي تكتبها المرأة أو الرجل، وتخلوا من نزعة نسوية، ولا على فصل جنسوي، ولا التركيز على التسمية فقط، وشحنها بشحنات احتقارية، ولأن هذه الكتابة سميت بالنسوية لأنها تشتمل على خصائص تميزها، وتفردها عن الكتابة الخالية من هذه الخصائص، وإن كتبتها امرأة أو رجل.

ومن هنا فإنه لا يوجد أدب ذكوري يقابله أدب أنثوي أو نسائي، وإنما هناك أدب عام وأدب يحمل خصائص نسوية وهو جزء

الهوامش والإحالات:

([1]) رياض القرشي، النسوية، قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ط: 1، 2008م: 25.

([*]) وقد واجهت الكاتبة منها على وجه الخصوص محاولات عنيفة قصد إبعادها عن فعل الكتابة، وممارساتها، سيما الكتابة الأدبية، وخصوصا النقدية منها، إذْ وصم الكثير من الكتاب الأوروبيين جنس النساء بأوصاف قاسية، لأنهن يتجرأن على الكتابة، وبث أفكارهن في نقد الأدب على الملأ كالرجال، فهن بحسب جوناثان سويفت "Jonathan Swift" «جنس عقيم الحكم، وكأنهن الصدى، يجدن سعادتهن في تكرار صخب مذفر، أكثر مما يجدنها في تغريد العندليب»، **[Swift. The Battle of the books, P. 257، نقلا عن: تيري كاسل، المرأة والنقد الأدبي، ت: شكري مجاهد، نوافذ، النادي الادبي الثقافي بجدة ، ع: 33، سبتمبر: 2005م: 29.]** وكانوا يرون في «المرأة التي تعلن آراءها الأدبية أمام الناس كأنها تعرض حماقتها أو وقاحتها»، **[تيري كاسل، المرأة والنقد الادبي: 29]** ناهيك عن حضر أصحاب الصحف والمجلات نشر نتاج النساء، ووصفهن بأوصاف شتى من مثل "قراصنة

قوطيين" في جمهورية الأدب، وعجائز شمط، ويرون - إضافة إلى ذلك- بأن المرأة تصبح ألطف حينما تمسك لسانها. **[ينظر المرجع نفسه: 31، 32.].**

([2]) ينظر: عدنان علي الشريم، الأب في الرواية العربية المعاصرة، تقديم الأستاذ الدكتور خليل الشيخ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، ط: 1، 2008م: 23.

([3]) ينظر: طوني بينيت وآخران، مفاتيح اصطلاحية جديدة- معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ت: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط: 1، 2010م: 262.

([4]) ينظر: ميجان الرويلي، وسعد البازعي، دليل الناقد الادبي، إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت ط: 2، 2000م: 87.

([5]) حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط: 1، 2009م: 32.

([6]) شيرين أبو النجا، نسائي أم نسوي، مكتبة الأسرة، سلسلة الأعمال الخاصة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، 2002م: 8.

([7]) المرجع نفسه: 11.

([8]) ينظر: ريان قوت، النسوية والمواطنة، ت: أيمن بكر، وسمر الشيشكلي، مراجعة وتقديم: فريدة النقاش، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط: 1، 2004م: 29.

(**) وقد ظهرت جملة من الاشتقاقات الموازية، من مثل: (أدب الحريم، والحرملك، والجنس الناعم، واللطيف، والنواعم.. إلخ)، وهي اشتقاقات ومسميات -من وجهة نظرنا- ملغومة كلها بالنزعات الاحتقارية من جهة، والتركيز على كتابة المرأة في حد ذاتها -بغض النظر عن خصائصها وقيم اشتغالاتها- من جهة أخرى.

(9) ينظر: حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النسوية وما بعد النسوية: 31.

(10) ينظر: حاتم الصكر، انفجار الصمت، الكتابة النسوية في اليمن، دراسات ومختارات، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، الأمانة العامة، صنعاء، ط: 1، 2003م: 11، 12.

(11) ينظر: توريل موي، النسوية والأنثى والأنوثة، ت: كورنيليا الخالد، الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع: 76، السنة التاسعة عشرة، خريف: 1993م: 24، 25.

(***) فرقت توريل موي بين ثلاثة مصطلحات في هذا الصدد، وهي ظاهرة للعيان كما يبدو من عنوان مقالها السابق (...) وقد ترجم مقالها هذا إلى العربية على يد (كورنيليا الخالد)، ونشر في مجلة الآداب الأجنبية الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب في خريف: 1993م. بينما نشر كتاب الصكر في: 2003م، ونشر كتاب حفناوي بعلي في: 2008م.

(12) ريان قوت، النسوية والمواطنة: 45.

(13) توريل موي، النسوية، والأنثى، والأنوثة: 25.

([14]) بام موريس، الأدب والنسوية، تـ: سهام عبد السلام، مراجعة وتقديم: سحر صبحي عبد الحكيم، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ع: 474، ط: 1، 2002م: 29.

([15]) يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج: 34، ع: 2، أكتوبر ديسمبر: 2005م: 11.

([16]) سناء شعلان، قضايا ورؤى، الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ع: 153، مايو: 2010م: 156

([17]) توريل موي، النسوية والأنثى والأنوثة: 29، 30.

([18]) شيرين أبو النجا، نسائي أم نسوي: 8.

([19]) محمد طرشونة، نقد الرواية النسائية في تونس، مركز النشر الجامعي، تونس، ط: 1، 2003م: 6.

([****]) ولعل الباحثة توريل موي تعني بمصطلح الأنثى (النسائية) لأنها تربطها بالبيولوجية، ولعل هذا الخلل ناتج عن الترجمة، لأنها تقول في بحثها: فـ«كلمتا (أنثى) و(ذكر)... حصرناهما للدلالة على العناصر البيولوجية البحتة للاختلاف الجنسي»، **[توريل موي، النسوية والأنثى والأنوثة: 34]**. ويؤكد ما ذهبنا إليه هنا تفريق الباحثة "سارة جامبل" ما بين الأنثى والأنثوية، إذ تشير كلمة أنثى بمعناها الحرفي إلى كائن ذي مجموعة معينة من الخواص البيولوجية مثل القدرة على الولادة، ومن هنا تختلف عن "الأنوثة" التي تصف الصورة التي يكونها المجتمع عن المرأة ككائن له هذه الخواص. **[ينظر: سارة**

جامبل، النسوية وما بعد النسوية، تـ: أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط: 1، 2002م: 335، 337].

([20]) ينظر: توريل موي، النسوية والأنثى والأنوثة: 24.

([21]) سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية: 337.

([22]) محمد طرشونة، نقد الرواية النسائية في تونس: 6.

([23]) ينظر: زهرة الجلاصي، النص المؤنث، سراس للنشر، تونس، د. ط، 2000م: 7، 8.

([24]) شيرين أبو النجا، نسائي أم نسوي: 8.

([25]) مفيد نجم، الأدب النسوي، اشكالية المصطلح، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، السعودية، ج 57، مج: 15، سبتمبر 2005م: 161.

([26]) المرجع نفسه: 160، 161.

([27]) حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط: 1، 2007م، هامش: 99، ويشير المناصرة إلى توريل موي، النسوية والأنثى والأنوثة: 44.

([28]) ينظر: شيرين أبو النجا، نسائي أم نسوي: 8، 9.

([*****]) إن خصائص النصوص هي من تمنحها تصنيفها، وانتمائها، وتيارها، وتميزها عن غيرها، فذلك يجعل الكتابة النسوية مثل كتابة الحرب، وكتابة الغربة، وكتابة البحر، فلكل منها خصائصها ولغتها التي تفردها عن غيرها، ولا يمكن وصف أحدها بهذه الصفة ما لم تكن خصيصة مهيمنة فيه، وغالبة على سواها،

بغض النظر عن جنس الكاتب، فهناك -مثلا- الأدب النسوي، وأدب الطفل، وأدب السود، والمهاجرين.. إلخ، فإذا كان الأدب النسوي -كما يرون- هو الذي تكتبه النساء، فهل أدب الطفل يكون حكرا على الذي يكتبه الأطفال فقط، وكذلك أدب السود هل هو الذي يكتبه السود دون غيرهم؟ إذن إن الأدب النسوي هو الذي يتخذ من المرأة وقضاياها مادة له، بغض النظر عن كاتبه، وكذا أدب الطفل مادته هي من تجعله كذلك، وليس كاتبه، وكذا بقية الأنواع، وفي الأخير هل بإمكان البحر أن يكتب أدبا خاصا به كي نسميه أدب البحر!.

(******) ولعل من المفيد الإشارة هنا إلى أن الكثير من الكتاب والكاتبات لم يفرقوا بين نسائي ونسوي، وبعض الكاتبات اشتغلن على أحدهما في بداية مشوارهن، ومن ثم انتبهن للفرق بينهما، وبدأن يشتغلن على هذا الفرق، كما فعلت الباحثة شيرين أبو النجا، أو التفريق بين مصطلحات وإهمال بعضها وعدم الالتفات إلى البعض الآخر كما فعلت زهرة الجلاصي التي تفرق بين مصطلح أنثوي ومصطلح نسائي وتعتمد الأول وترفض الآخر ولا تلتفت إلى نسوي أو تذكره حتى عرضا.. أو الخلط بين المصطلحات في مكان واحد كما فعل حفناوي بعلي، أو الاشتغال على مصطلح (نسائي) وحده، وإغفال ما عداه جملة وتفصيلا كما صنع الباحثان رشيدة بنمسعود وبوشوشة بن جمعة؛ إذ يشتغلان على مصطلح نسائي، ويهملان مصطلح نسوي تماما، ويقتصران في مناقشتهما على إثبات هذا المصطلح/نسائي، وقصره على ما تكتب المرأة دون

غيرها، ومحاولة إثبات خصائصه ومزاياه فقط دون الالتفات إلى أن الظاهرة عامة وأن التركيز على أدب الرجل في مقابل أدب المرأة ظاهرة إيديولوجية تعمل على توسيع الهوة بين الجنسين، وتثبت مقولة/عملية الإقصاء الاجتماعي للمرأة، وتغريب كتابتها لا إثبات ميزاتها، وحينما تناقش الكاتبة رشيدة بنمسعود المصطلح وخصائص الكتابة النسوية وميزاتها وأسباب رفض الكاتبات لهذا المصطلح يصنع بوشوشة بن جمعة نفس الفعل، ومن ثم يتوصلان إلى نفس النتائج. ولعل الأسباب التي جعلتهما يقتصران على ذلك -من وجهة نظرنا- هي أن التركيز المحوري والجوهري لديهما كان منصبا على كتابة المرأة لا على الظاهرة بوصفها ظاهرة إنسانية مشتركة، يشتغل عليها الرجل والمرأة، وتفرز مظاهر تدعو إلى مناهضة العنف ضد النساء، وتفكيك البنية البطريركية التي تعمل على فصل العنصرين فصلا تاما، وجعل المرأة تابعة للرجل.. [**ينظر: رشيدة بنمسعود، المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية/بلاغة الاختلاف، أفريقيا الشرق، المغرب، ط: 1، 1994م: 75-98.**] و[**بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية: 15-32.**]

([29]) بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط: 1، 2003م: 23.

([30]) حسين المناصرة، النسوية في الثقافة والإبداع: 87.

([31]) المرجع نفسه: 87.

([32]) زهرة الجلاصي، النص المؤنث: 9.

([33]) عبد اللطيف الأرناؤوط، البوح الصارخ، الدوحة، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ع: 21، السنة الثانية، يوليو: 2009م: 77.

([*******]) ولكن من وجهة نظر البحث فإن ظهور مصطلح النسوية بإمكانه أن يحل هذا الإشكال، ويحيل الموضوع الخارجي إلى داخل النصوص، ويحول النداءات الخارجية إلى نداءات داخلية، ويجعل القارئ يشتغل على البحث عن الخصوصية والتيمات المحورية التي تتمفصل في النصوص التي تكتبها المرأة و/أو الرجل وفق مفهوم النسوية -كما أشرنا سابقا-، وليس على الاهتمام بالمرأة في ذاتها بعيدا عن النصوص.

([34]) بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية: 23.

([35]) حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد النسوي وما بعد النسوية: 29.

([36]) ينظر: بوشوشة بن جمعة، الرواية النسائية المغاربية: 18.